السيد محمد تقي المدرسي

المرأة في المجتمع الإسلامي

دار الصادق



محمد تقي المدرّسي

المرأة في المجتمع الاسلامي

طبع على نفقة
الاستاذ علي الحاج عبد الله الاشكناني
– الكويت –

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين . وصلوات الله على محمد وآله المعصومين.

الإمام الحسين عليه السلام حقيقة قائمة بذاتها . تستطيل على كل القوى المناهضة على مدى الزمان .

وإذا استطال الشيء قام بنفسه
وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

هــذه الحقيقة : التي تستقطب اهتمام الملايين عبر الأجيال . تعطي الإنسانية . طاقة ضخمة تضمن لها النصر على قوى المادة الهابطة .. فهي ترخص في نظر الإنسان كل شيء يملك . وترفع – بقدر ذلك – من قيمة الإنسانية ، وتثبت تفوقــه على سائر الأحياء في استطاعته الارتفاع عن خصائص المــادة ، إلى واقع الثورة والتضخيم للحق والعدل ، وتناجي ضمير الانسان : بأنك أقوى من الرغبات ، والظروف والتعاليم وأن لك الحرية الكاملة التي ترفعك عن الخضوع لعوامل الاقتصاد أو ظروف الاجتماع ، إلى مستوى الحق والعدل الواقعيين .

ولذلك فإن الدين الإسلامي أعطى للقضية الحسينية اعتباراً نفسياً ، وأردفها بسائر تعاليمه الحية ، واتخذ المسلمون من هذا الاعتبار منطلقاً إلى احياء القضية الحسينية في كل عــــام مرات عديدة ، ففي العاشر من محرم ، وفي العشرين من صفر ، وفي الثامن والتاسع من ذي الحجة ، وفي مناسبات أخرى تتوسل الجماهير إلى كافة السبل الممكنة لتعبر عن عواطفها الثائرة ، من أجل الحسين عليه السلام .

والواقع أن هـــــذه النشاطات الوافرة التي تبذل في سبيل

تخليد ثورة الحسين عليه السلام : تصيب هدفها ، وهدف الدين الاسلامي ، من تأكيد على إحياء هذه الثورة أبداً .

وكلها تساهم في إبقاء قضية الحسين عليه السلام حقيقة قائمة بنفسها ولكن : يجب أن نعرف أن الاسلام جهاز متماسك لا ينفصل بعضه عن بعض : فالامام الحسين عليه السلام قاعدة في بناء صرح الدين ، وهناك قواعد أخرى ، لا يقوم الدين إلا إذا اكتملت وتساندت بعضها مع بعض ..

الاسلام : دين شامل لجميع نواحي الانسان ، ولا بد أن يعتنقه الفرد عقيدة ومنهجاً وخلقاً لكي يفلح في الدنيا والآخرة.

ومن هنا فعلينا أن نتخذ من القضية الحسينية ، منطلقاً إسلامياً نهدف استيعاب مبادىء القرآن ، وتطبيق نظمه وتعاليمه .

نعلم أنهم قد بنوا قاعدة من قواعد دينهم تلك هي قاعدة الولاء وتبقى عليهم أن يرسموا سائر القواعد أيضاً .

وبما أن الأخذ بتعاليم القرآن . الذي استشهد في سبيله الامام

الحسين عليه السلام : في كل مجال – ومجال المرأة بالذات – واجب مفروض على محبي الحسين فإن علينا أن نشترك معهم في معرفة : تعاليم الاسلام حول المرأة. ورد الشبهات التي الفقت على الاسلام.

وكلنا أمل في أن يتعاون معنا القراء الكرام في التفاهم حول الموضوع . ثم العمل بسد تعاليم الدين حول المرأة عن طريق نقل أفكار الكتاب إلى اخوانهم .

ولهم من الله التوفيق .. إنه هو العزيز القدير .

محمد تقي المدرسي

كربلاء المقدسة ٢٤ / ١ / ١٣٧٩ هـ

من هي الانثى ؟

ليست المرأة في نظر الاسلام شيطانة تقمصت إهاب انسان لتخدعه وتضله عن صراط الحياة كما كانت تقول به بعض الأديان المنحرفة ولا هي حيوانة استعارت صورة الانسان لتخدم الذكور وتؤنسهم في الحيـاة كما كانت تحسبها الجاهلية قبل الاسلام ولا تزال تعتقد به بعض الديانات ولا ان جسمها جسم انسان وليس لها روح او ان لها روحاً حيوانية كما كانت تعتقد به اوربا قديماً، ولكن الاسلام ينظر الى الانثى كما ينظر الى الذكر انساناً لهـا مثل ما عليها من الحقوق والواجبات وتنطبق عليها نظرة الاسلام الصائبة التي تنطبق على كل بشر : انهـا ليست قيماً متجسدة

كالملاك ولا شهوات طائشة كالشيطان وإنما المرأة قبضة من التراب وومضة من الروح وفي التراب جملة من الميول والرغبات وفي الروح مجموعة من القيم والمثل .

ولكنها خلقت لتؤدي نوعاً خاصاً من المسؤولية بينما خلق الذكر ليؤدي نوعاً آخر منها فمثلها مثل ذلك النوع من الحمام الذي يملك ذكره جناحاً عن اليمين وحلقـــة عن اليسار وتملك أنثاه جناحاً عن اليسار ونصف حلقـة عن اليمين فاذا أرادا الطيران عقدا الحلقتين ورف كل بجناحه وحلقا في السماء .

فالمرأة تحمل وترضع وتربي، والرجل يسعى في سبيل تحقيق حياة أفضل، وفي المرأة تلك العاطفة الرقيقة والحب العميق نحو زوجها الذي يمكنها من الوفاء به والمشاركة معه في الشدة والرخاء وفيها العطف البالغ الذي يحملها على تجشم متاعب الحمل والوضع والرضاع والتربيـة وفيها لهذه المسؤوليات الضخمة الكفاءات المماثلة فلها الجاذبية والرقة ، وفيها الرحم والثدي .

وفي الرجل في المقابل العقل المفكر والتدبير الدقيق والشعور بالمسؤوليات والاستقلال وصلاحيات الادارة وما الى ذلك من

الكفاءات التي تؤهله لأداء مسؤولياته الضخمة من حماية الاسرة وتأمين معيشتها وسعادتها .

ان لكل منهما جناحاً يرف من جانب فاذا اتحدا و « عقدا » جناحيهما حلقا في أفق السعادة والهناء .

وعلى حسب فطرة كل من الذكر والانثى وزّع الاسلام المسؤولية عليهما فجاء التوزيع عادلاً وميسوراً .

مسئولية المرأة :

فعلى المرأة ان تحسن الحمل والوضع والرضاع والتربية وما يتعلق بها من شؤون ، وأن تحتفظ بجاذبيتها وفتنتها التي تستهوي الرجل وتجعله يصارع الحياة في سبيلها .

مسئولية الرجل :

وعلى الرجل تأمين حياة المرأة وكفايتها عن الدخول في معترك الحياة لكي لا تشغَل بالصراع في الخارج عما خلقت له من

إدارة الداخل من حفظ النشأ في رحمها وفي حضنها ، ولو ان المرأة دخلت معترك الحيـاة لتكسب لنفسها معيشتها وجب على الرجل ان يتحمل مسؤولية المرأة من حمل ورضاع وتربية الاولاد وإلا فهل يحق لأحـــد ان يطالبها بجهد مضاعف ، أي : ادارة البيت وإدارة المصنع معاً، ولو أننا خففنا عنها ثقل التربية بانشاء المحاضن والروضات وأرحناها عن متاعب البيت بمن يغسل لهـا ويطبخ وينظف ، بقيت عليها متاعب الحمل وليست بقليلة وآلام الوضع المرهقة . هـــذا ولو منعناها عما خلقت له من الرضاع والتربية اللذين يشكلان جزءاً وافراً من سعادتها فاننا نجني عليها بحرمانها من أكبر لذة هي إرضاع الاطفال وإنجابهم وتربيتهم، أليس تحس المرأة باللذة عندما ترضع وليدها الغض حين تقوم من نومها اللذيذ ؟! ولو انهـــا لم تكن تشعر بالسعادة عندما تقوم بشؤون الطفل لم تكن تندفع اليه بلهفة وسرور .

إذن فهل يحق ان نمنع عنها هــذه السعادة ونقحمها جبراً في المعترك الصاخب ، ولو أننا فعلنا ذلك أفلا نظلم أنفسنا أيضاً إذ نـكلف الذكور بالرضاع بالمحضن وبالتربيــة في الروضة وبالغسل والتنظيف في كل مكان من غير ان يكون هناك مكسب جديد إلا تبديل النساء بالرجال ؟

عندما نهدم الاسرة :

أولاً نظلم أنفسنا من نواحٍ اخرى أيضاً ، مثل ناحية هدم الاسرة ، فإن الطفل الذي يربى في المحضن والروضة لا يكون في بنائه النفسي كالطفل الذي يدرج في أحضان والديه ، ويعبُّ من حنانهما ودفئهما حتى يروى .

الطفل الذي ينمو في ظلال الاسرة يتمتع باعتدال في البنية النفسية ، فهو يحب الآخرين ، ويتعاون معهم ، ويتبادل وإياهم الخبرات ، لأنه منذ الولادة حظي من الاسرة بالحب والتعاون والتربية . وهكذا يكون سعيداً ، ويكون المجتمع الذي يعيش في ضمنه سعيداً أيضاً .

أما الطفل الذي ينبذه الوالدان الى المحضن ليكون في ضمن مائة طفل آخر ولا يحظى بالحب والحنان، فإنه ينشأ شاذاً يعتقد بالأساطير ويرفض الثقة بالمجتمع لأنه لم يثق به ، وينشأ أنانياً يبغض الآخرين ومنعزلاً يأنس بالانعزال ، لأنه لم يتعوّد على غير ذلك .

شهادة التجارب :

وهــذه حقيقة أثبتتها التجارب المتكررة كما يلمسها وجدان كل أب وأم ، فاسألوا أولياء الطفل عمـــا اذا لم يُعتنَ بالطفل لدمامته او سوء خلقه لتروا كيف يكون هــذا الطفل لجوجاً ، عنوداً ، شاذاً ، في أخلاقه وتصرفاته !.

وليست هذه حقيقة ضارة في بني الانسان فقط، فحتى صغار الكلب تتأثر بهذه الظاهرة ، فالجرو الذي يربى بعيداً عن والديه يختلف بكثير عن الذي يربى عندهما [١] .

---

(١) يقول الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب : لقـــد ارتكب المجتمع العصري غلطة جسيمة باستبداله تدريب الاسرة بالمدرسة استبدالاً تامــاً . إن الكلاب الصغيرة التي تنشأ مع اخرى من نفس عمرها في حظيرة واحدة لا تنمو نمواً مكتملاً كالكلاب الحرة التي تستطيع ان تمضي في أثر والدها ، والحال كذلك بالنسبة الى الاطفـــال الذين يعيشون وسط جمهرة من الأطفال الآخرين وأولئك الذين يعيشون بصحبة راشدين أذكياء، ولكي يبلغ الفرد قوته الكاملة فإنه يحتاج الى عزلة نسبية واهتمام =

فإن كانت هذه حالة الجرو، وهو حيوان لا يحتاج الى التربية مدة طويلة لأن أكثر نشاطاته طبيعية ، فكيف بالإنسان وهو الوحيد بين الأحياء الذي تحتاج أكثر شؤونه الى التربية ؟

لقد عانى الغرب في تجربته بشأن الاسرة الكثير من الويلات فهل نريد إعادة تجربته المأساوية ؟

ألم يكفِ ما يهدد العالم بالخطر هـــذا الجيلُ الذي ربي على الأنانية وعبادة الذات والمتميز بالحيرة والفراغ واللامبالاة ومـــا الى ذلك مما يهدد الأحياء وينذر الحضارة بالفناء [٢] ؟

= جماعة اجتماعية محددة تتكون من الاسرة . (انظر كتاب : الانسان ذلك المجهول) .

(٢) كتبت جريدة (أخبـــار اليوم) المصرية في عددهـــا الصادر بتاريخ ١٢ مايو ١٩٦٢ تقول :

« الى أين يتجه شباب العـــالم ؟ في امريكا يرتفع ترمومتر المراهقين للسطو وتدخين الحشيش . وفي سويسرا يتزايـــد الانحـــلال . ويجتمع المجلس الأعلى للسوفييت ليبحث مشكلة الانحراف للشباب الروسي » .

هذه إحدى النتائج للفوضى الجنسية والقضاء على الاسرة .

أليس من الأفضل ان يتمسك العالم بالنظام الاسلامي للحياة الاجتماعية التي تجعل الرجل والمرأة كشقي تفـاح أحدهما داخل البيت والآخر خارجه ، وهما يشتركان في بنـــاء حياة سعيدة لأنفسهما أولاً وللجيل الصاعد ثانياً ، بتوزيع المسؤوليات عليهما طبقاً لبنيتهما الفطرية ؟ فعلى الرجل — المفكر القوي البنيـان — أن يقوم بمؤونة الاسرة، وعلى المرأة — العاطفية الضعيفة الجسم — أن تقوم بمهام البيت بعد الحمل والرضاع .

من هنا ينظم الاسلام الحياة في تناسق رائع . وهو يجعـــل واجب المعاش على الرجل ، وفي مقابله يجعل له ضعفاً من الإرث فيقول : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ . فإذا بالمرأة تأخـــذ الثلث من الإرث من جانب وتأخذ قدراً من حظ الذكر (هو الذي ينفق عليها) من جانب آخر ، فيعتدل النصيبان .

ويقرر الإسلام إعفاء الزوجة من العمل لتتفرغ للبيت حيث تعتني بواجباته .

وفي نفس الوقت لا يحرم عليها العمل طلباً للمزيد من المال ، فإنها حرة في ذلك ، ولكنها ليست مضطرة الى العمل كما تقول بها القوانين الوضعية .

ويقرر الإسلام الحجاب على المرأة ولا يفرضه على الرجل ، لأن عليه السعي وراء الرزق وليس عليها إلا إدارة البيت ، فإذا كان لازماً ُجعل حاجز بين الجنسين : الذكر والأنثى (كما سنبين فلسفته) .

وجب على المرأة أن تتحجب عن الرجل لأنها أحرى به ، وقد ُجعل عملها في البيت فهي في طبيعتها تتحجب عن الرجل إن لزمت مقر عملها .

وأُعفيت من الخدمة العسكرية وحضور الجماعة ، لأنها بعد أن فرضت عليها العفة والحجاب أثقلت عن هذه الشؤون واستصعبتها، فأعفيت منها ووجب على الرجال تحمل مسؤوليتها وحدهم لأنهم أُعفوا من الحجاب .

وجعل على الرجل المؤونة فجعل له في مقابل ذلك حق السيادة على أمور البيت — طبعاً لدى الاختلاف — أما لدى التفاهم — وهو الصفة العامة السائدة على جو البيت الاسلامي — فإن تدبير الامور يجري على الرأي المشترك .

أما فلسفة ذلك فإن الرجل الذي يتميز بالطابع العقلي في

أعماله والذي يكلف بالمصارف أحرى بالسيادة وأولى ، لأنه اذا شعر بالقيادة — وهو يسعى ليشعر بها بطبيعته كما يقول علماء النفس الحديثون — اندفع الى العمل المجهد ونشط فيه نشاطاً منقطع النظير وكان ذلك بمنزلة الطاقة التي تشحن بها نفس الرجل، تماماً كالرجل الذي يخول اليه قيادة جماعة ويجعل له الرأي المطاع فيهم حيث يتفانى في سبيل تقديم الجماعة وتوفير سعادتهم . وكذلك الرجل في جو الأسرة إذا شعر قلبه بالمسؤولية عن طريق شعوره بالقيمومة اندفع الى العمل المستمر وبذل كل جهد مستطاع في الترفيه عن أفراد أسرته .

الحق في الطلاق :

أُعطي الرجل الحق في الطلاق في الوقت الذي كلف بأمور شاقة مرهقة قد لا يتحملها ، فجعل له الحق في التخلص منها تخلصاً ايجابياً مشروعاً وإلا لجأ إلى طرق ملتوية تماماً كما تحققت في البلدان المسيحية ذات النظم التي لا تؤمن بالطلاق ، فانتشر فيها الفوضى وفسدت البلاد والعباد ولم يعتبر الطلاق في الإسلام إلا ضرورة يلجأ إليها الفرد أحياناً كما يلجأ إلى قطع العضو الفاسد بعد أن تفشل كل المحاولات التي تبذل للإصلاح .

ولذلك كان الطلاق أبغض الحلال عند الله ، ويهتز عرش الله بحادث طلاق...وإذا كان كذلك فقد وجب أن لا يجعل الخيرة في الطلاق للزوجة لسبب بسيط هو أن المرأة إنسانة عاطفية بطبيعتها تتأثر بأتفه شيء وتقدم على أخطر شيء بمجرد ما ترى ما يسوئها في الحياة الزوجية .

ولو أن الإسلام كان يجعل عقدة النكاح بيد المرأة لكي تطلق زوجها متى شاءت إذاً لكان يعرض الحياة الزوجية للخطر الدائم في كل يوم وكل لحظة .

وليس هذا وقعاً دينياً ، وحقيقة علمية أثبتتها البحوث الجديدة فقط بل لقد تبين من خلال التجارب البشرية منذ أن جعل الطلاق « خطأ » بيد المرأة في اليونان وإلى أن جعل بيدها في القانون الأوربي الحديث (٣) .

---

(٣) لقد جعل الطلاق بيد المرأة في الفترة الأخيرة في إيران فأحصت صحيفة « اطلاعات » الحوادث التي راجعت النساء فيها لطلاق أزواجهن بطهران فكانت ناشئة عن أتفه الأسباب ، مثل أن الزوج كبير الأنف ومثل أنه لم يكن كما ينبغي في تبادل=

إن العلاقه الزوجية لا يمكن أن تقوم على أساس ثابت إذا تعرضت لعواطف المرأة المتطورة في كل لحظة .

وأيهما الأفضل العلاقة الثابتة التي يطمئن إليهـــا الزوجان فينصرفان إلى أعمالهما ونشاطهما بفراغ بال ووداعة خاطر ، أم العلاقة المتزلزلة التى يخشى كل من الزوجين من قطعها في كل آن؟

ثم هل من الصالح للزوجة أن تجعل أمر طلاقها بيدها وهي التي تتطلب هدوءاً وسكينة أكثر لأداء مهمتها الشاقة في الحياة من انجاب الأولاد وتربيتهم ، هل من الصالح لها أن تبرم في كل يوم عقداً جديداً بعد أن تهدم عقداً سابقاً كما كانت كذلك في اليونان حيث كانت المرأة تحسب وتعد سنين عمرها بعدد أزواجها.

وبعد ذلك من يتكفل لهـــا بزوج جديد حينما تطلق زوجها

= الحب ومثل أن له شخيراً وأمثال ذلك . والعجيب أن بين المطلقات كانت من تزوجت قبل الطلاق بأسبوعين فقط .

وهكذا تنفصم عرى الحيـــاة الزوجية لأتفه الأسباب إن جعلت الفرقة بيد المرأة .

السابق ؟ لا تقل انها تصنع ذلك بطوع رغبتها ، فباستطاعتها ان لا تطلق زوجها اذا خافت العاقبة السؤى لانها وهي عاطفية سريعة التأثير ، رهيفة الاحساس لا تملك قوة إرادة ، ولا بعـد نظر وهي لا تبصر في حـالة الانفعال إلا وقتها الحاضر دون أن تحسب لما مضى او يأتي أي حساب .

فان لم تستطع ضبط النفس في التطورات الـتي تطرأ لم تكن تملك ضابط الارادة لدى غلبـة الاحساس ، فهل من الصالح ان يجعل باختيارها الطلاق لتكتب بيدها عنوان شقائها وتبتلي بـه مدى الحياة ؟

تعدد الزوجات :

وهناك حق تعدد الزوجات الذي يكون للرجـال من دون ان يكون للنساء حق تعدد الازواج ، ويقرر الاسلام هذا الحق وفقاً للفطرة الاولية وما فيها من الفروق الأساسية بين الذكر والانثى من حيث العلاقة الجنسية ودفعاً لخطر عظيم يصيب البشر لولا هذا التشريع ورعاية لمصلحة الانثى نفسها . والآن لننظر كيف يكون ذلك :

١ – لقد خلق الله الذكر ذا شحنة جنسية يتمكن من إفراغها وإنجاز مهمته الغريزية في دقائق معدودات بينما جعل الانثى ذات إمكانيات محدودة إذ انها لا تستطيع إنجاز مهمتها إلا بعد حولين كاملين حملاً وفصالاً ، ولذلك كان من الطبيعي ان يسمح للرجل بأكثر من أنثى ولا يسمح للمرأة بأكثر من ذكر .

٢ – ان عدد النساء في العالم يربو على عدد الرجال دائماً – كما تثبته الاحصاءات المتكررة في مختلف البلاد – واذا كان الزواج حقاً لبعض النساء ظلت الملايين من النساء عوانس يشقين او يفسدن المجتمع .

أفلا نسمح لهن بالزواج حتى يمارسن حقهن في الحياة الزوجية ولا يتعرضن للمشاكل ولا يتعرض كل بلد للبلاء العميم [٤] ؟

---

(٤) لقد التجأت البلاد الغربية الى سن قانون تعدد الزوجات بعد ان منيت بفشل ذريع في حل مشكلة زيادة النساء على الرجال ، ففي المانيا الغربية شرع فعلاً هذا الدستور ، وطلبت حكومة بريطانيا لجنة اختصاصية من الفقهاء المسلمين للنظر في تشريع هذا القانون .

٣ – بعد سؤال عن ان الزوجة الثانية هل تعقد عليها برضاها أم جبراً عليها (وطبعاً الإجابة واضحة وهي أنها لا تنكح إلا برضاها) ، بعد ذلك نتساءل هل الزوجة الثانية ترضى بالزواج لمصلحة نفسها أم لغير مصلحة نفسها فإن كان لمصلحتها (وهو الدائم) فما الذي يدعونا الى منعها عن هـذه المصلحة ، غير ان الزوجة الاولى على الاغلب لا توافق على الزواج الجديد ، ولكن من يقول بأن كرهها له إنما هو عن دافع عقلي وليس عن دافع عاطفي محض؟ من يقول بأن مصلحتها لا تكون في تحقيق زواج جديد يخفف عنها بعض ما يكلفها الزوج مما لا تتحمله ؟!

وحتى اذا كانت مصلحة الزوجة الثانية تتعارض مع مصالح الاولى فان قانون الاسلام يتدخل ويقول :

﴿ وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾ .

ان قانون العدل في الاسلام يمنع الزواج الجديد على حساب الزواج السابق ويحل بذلك مشكلة تعارض المصالح بكل بساطة.

نخلص مما سبق بنتائج توجز فلسفة التشريعات الاسلامية

حول علاقة الذكر بالانثى وحقوق كل واحد على الآخر وواجبات كلٍ تجاه الثاني وتجاه المجتمع .

وأرى من الضروري ان اوجزها قبل ان نفتتح حديثاً عن الموضوع الرئيسي في هذا الكراس (الخلاعة والانحلال الجنسي) توجز النتائج في النقاط التالية :

١ – المرأة في الاسلام بشر قـد تسمو الى أفق الملائكة وقد تهبط الى درك الشياطين شأنها في ذلك شأن الرجل .

٢ – المرأة انسانة عاطفية خلقت لكي تلد وترضع ، وتقوم بنشاطات داخل البيت العائلي توفر على الرجل الوقت ليكتسب لها معيشتها .

٣ – جعلت على المرأة واجبات بمقدار ما جعل لها من حقوق، عليها الحمل والولادة والرضاع ولها النفقة والاعفاء عن الخدمات العامة .

٤ – وجعلت لها النفقة فمنعت عن بعض الارث .

٥ – لم تجعل فرقة الطلاق بيدها بعد أن جعلت بيديها عقدة

النكاح رعاية لمصلحتها ومصلحة المجتمع ان يهبط الى درك الرذيلة والشقاء .

٦ — وكانت القيمومة للرجل عليها في الحيـاة الزوجية لأنها عاطفية والرجل مفكر عاقل .

٧ — لم يشرع قانون تعدد الزوجات إلا لمصلحتها لكي لا تبقى عدة من النساء بلا أزواج .

كيف تنشأ العلاقة :

العلاقة بين الذكر والأنثى ضرورة كأعنف ما في الحياة من ضرورات فهي الفطرة التي صيغ بها كيان كل رجل وامرأة ولا تستطيع أن تقوم قوة في وجه هـذه الضرورة الطبيعية ، ولقد أكد الإسلام — في غير واحد من الآيات والروايات — بل حرض عليها ورغب فيها واعتبرها ذات ثواب وأجر جزيل .

ولكن نوعية هذه العلاقة هي التي يجب أن نبحث فيها .

لا بد للرجال أن يعايشوا النساء ولكن كيف ومتى وبأي

وجه ــ هل ــ على النوع الكريم الذي يحفظ الإنسان عن الإبتذال والهبوط ، والذي يعترف به الدين والأخلاق وهو أن تكون لكل ذكر أنثى وبالعكس ؟

أم على النوع الذي تصوره لنا بعض المبادىء وتعتبره سعادة الإنسان ، النوع الذي تدعو إليه الحضارة الحديثة ، وتوحي بها تياراتها بوعي أو بغير وعي وهي :

الإباحية المطلقــــة التي توجز في أن يكون كل رجل لكل أنثى بعــد أن ترفع الحواجز بين الجنسين ، ويوضع الإنسان في بؤرة الفساد يغرق فيها الأعماق ؟

الاباحية المطلقة التي تقول بأن الإنسان حيوان ويجب أن يثبت حيوانيته بكل ما لديه من سبل ويجب ألا يقوم أمام ذلك أي حاجز من دين أو أخلاق .

لا يخجل أن تصبح الشوارع والحدائق مواقع للاتصــــال ويكون كل نوع منه مشروعاً !!.

لا ثالث بين ذلك فأما اباحية مطلقة ، أو تقيد بحدود الدين والأخلاق .

ولنختر أحد الطرفين ونسعى إليه بكل وسيلة ، ولا نبقى مثل المنافقين الذين يهدفون الاباحية ، وهم يتظاهرون بالكرامة والأخلاق .

ولكن قبل أن نختار . يجب أن نفكر .

هل الانسان حيوان بالفعل ؟

هل يقبل ضمير كل فرد ــ وعقـــله ــ أن يهبط إلى مستوى الحيوان . ويهدم بنفسه صرح الانسانية الشامخ ؟؟!

هل من الصالح أن ينزو الرجـال على النساء في الشوارع في الحدائق ، في كل مكان ؟؟!

لست أريد أن أناقش فكرة دارون وفرويد . ومن تبعهما ، وهم يحاولون إثبات أن الإنسان حيوان فإن هناك كتباً قد ألفت في الشرق والغرب أثبتت علمياً خطأ الاعتقـــاد بأن الإنسان حيوان بزعم أن فيه كثيراً مما في الحيوان [٥] .

---

(٥) كتاب « الانسان ذلك المجهول » لألكسيس كاريل .

ولكن يجب أن نسأل الا يحس كل إنسان في نفسه بأنه اسمى من الحيوان ، وأن له الكرامة والنزاهة والأخلاق وأنه يتميز بالحياء والخجل والترفع . وبالجملة ألا يشعر كل منـا أنه إنسان وليس بحيوان ؟؟ وحتى لو كنا حيوانات فهل كان لنا أن نترك أنفسنا كذلك ، أو كان علينا أن نهذب أنفسنا ونقومهـا وقد أثبتت الأجيال أننا من النوع الذي يتقبل التربية والتهذيب بين أنواع الأحياء .

وأخيراً هل كان لنا أن نترك أنفسنا بعد أن لاحظنامساوىء الهبوط في مسألة الجنس وبعد أن بصرنا مشاكله في العالم ، رأينا كيف أن العالم الغربي المتحضر حينما انحدر إلى الاباحية أُصيب ببلاء عظيم ، أُصيب بالتهاب الغريزة الجنسية حيث أصبحت هـذه الغريزة مستعرة تلتهم سائر أوجه النشاط ، أن الفتى أو الفتاة التي يسرت لهـا الاباحية – والاتصال الجنسي – يندفع إليه بكل رغبة ولهفة طبقاً لعنف هذه الغريزة في بنية البشر ، وينسى بذلك تكاليف الحيـاة الأخرى فينشأ من ذلك ما نشأ في المتحضرين بالحضارة الأوربية المادية من ثمار بغيضة مرة .

ينتج من ذلك ما حذر منه رئيسا الاتحاد السوفياتي والولايات

المتحدة الامريكية السابقين ، خروتشوف وكنيدي .. وأنذرا شعبيهما بخطره الكبير [٦] .

إن كلاماً كهذا : إن الحياة متعة وخيرها مـا كانت ملتهبة كالجمر ، متفجرة كالبركان ، مضطربة متقلبة ، تشبه القول بأن النهمة التي لا يشبع المصاب بهـا خير من الصحة ، وأن الكباد الذي لا يروي المبتلأ به من المـاء خير من العافية ، وأن القلق النفسي أمر مرغوب فيه وأن التوتر خير من الدعة والاضطراب خير من الاستقرار وهكذا . وهل هناك إنسان يفضل هـذه المساوىء على ما يقابلها .

ثم ان التهاب الغريزة الجنسية لا تكون إلا على حساب سائر الغرائز ذلك لأنه يقتل الشعور بالمثل لدى المبتلى بـه ، ان الفرد

---

(٦) قال خروتشوف: إن الشباب الشيوعي قد بدأ ينحرف ويفسده الترف . وقال كنيدي (إن الشباب الامريكي مـائع منحل مترف غارق في الشهوات ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقـدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين بسبب انهماكهم في الشهوات وأنذر بأن هذا الشباب خطر على مستقبل أمريكا) .

المنغمس في الشهوات لا يحس بلذة إلا ما تكون متعلقة بالغريزة الجنسية ، فالادب العريان يشيع في اوربا وأمريكا وكل شعب منحل ، الادب العريان بما فيه الكتب ، التي تعكس الاتصال الجنسي ، في أبشع صوره ، والصحافة التي تشرح ما هنالك من تفاصيل لساعة الاتصال ، والسينما التي تعرضه في صور متحركة ايضاً .

وللالتهاب آثار نفسية وجسمية اخرى ربما نستطيع إيجازها فيما يلي :

١ — انه يذهب باعتدال الفكر ومن هنا يجر الفرد الى الضعف العقلي [٧] .

٢ — ويجعل الشعب لا يهتم إلا بالشهوات الدنيئة فتضعف فيه روح الدفاع عن الوطن وحماية المصالح ، كما تشيع فيه روح

---

(٧) يقول الكسيس كاريل : ان الافراط الجنسي يعرقل النشاط العقلي ، ويبدو ان العقل يحتاج الى وجود غدد جنسية حسنة النمو ، وكبت موقت للشهوة الجنسية حتى يستطيع ان يبلغ منتهى قوته ، عن كتاب (الانسان ذلك المجهول) .

الأنانية وتنتشر بين أفراده روح العداوة والبغضاء ، ولقد أثبت التاريخ بأن أكثر الأمم تأخرت بسبب انتشار الفحشاء بينها [٨].

وعلة ذلك واضحة وهي ان النفس الــتي اعتبرت الاتصال الجنسي غاية مآربها لا تعتبر قيمة للجهاد والاجتهاد، ولذلك فهي تضعف معها الامة .

٣ ـ وأخيراً الامراض الخطيرة التي تنتشر في الشعب المنحل مثل السفلس والسيلان وقرحة العانة كما تدل على ذلك الاحصاءات الواردة من الولايات المتحدة بعــد الذي شاع في الشعب الفساد

---

(٨) يذكر المؤرخون انــه لم تسقط أمة اليونان والرومان والفرس إلا بعد أن أصبحت أمماً منحلة انتشر فيها الفساد وسادت عليها الميوعة .

ولم تكن هزيمة فرنسا في الحرب الثانية وانهيار خط ماجينو إلا نتيجة للانحلال الجنسي كما اعترف بــه المسؤلون الفرنسيون أنفسهم .

وساد عليه الانحلال [٩] .

هـــذه هي الاخطار الناشئة عن التهاب الغريزة الجنسية في الانسان وهو بدوره ، ثمرة خبيثة للانحلال .

القضاء على نظام الاسرة :

ومن مساوىء الانحلال القضاء على نظام الاسرة وهو يعني منع الناس عن تشكيل النظام الأسري وتعريضهم للمساوىء الخطيرة ، التي سبق الحديث عنها مفصلاً .

---

(٩) كان يعالج في المستشفيات الرسمية (٢٠٠،٠٠٠) مريض بالزهري و (١٦٠،٠٠٠) مصاب بالسيلان البني ، وأما الذين يراجعون الأطباء خارج المستشفيات فهم أكثر بنسبة (٦١ ٪) في الزهري و (٨٩ ٪) في السيلان ، وهــذا يعني ان المصابين بالزهري في امريكا يربو عددهم على (٥٠٠،٠٠٠) وبالسيلان على (١،٢٠٠،٠٠٠) انسان .

الاضطراب الدائم :

وأخيراً الاضطراب الدائم في الحياة الاجتماعية ، ذلك لأن انتشار الفوضى الجنسية مثل ان يجعل على مائدة واحدة أنواع مختلفة من الطعام بعضها أحلى من بعض ثم يقال للجماهير هلموا وانتخبوا ، فلا بد ان يتنازعوا في الافضل ولا بد ان يربحه الأقوى فيحدث في ضمير الأضعف العقدة والحقد ، ولذلك فان الشعوب التي ينتشر فيها الانحلال الجنسي ينتشر بينها الإبتلاء بالعقد الجنسية بينما يأمن منها الشعب المحافظ على الأخلاق .

وبعد هذا كله – بعد هذه الأخطار – أليس من الخير ان ندع تقليد الغرب او الشرق في انحلاله . لقد قامت في اوربا وأمريكا وروسيا صيحات بلغت عنان السماء تنذر الناس من عاقبة الفساد المنتشر فيهم ويبشرهم بعذاب أليم ، ولقد رأينا ان الانذار لم يقتصر على الكتاب والفلاسفة بل تعداهم الى المسؤولين الكبار مثل (خروتشوف وكنيدي) ، وعلينا ان نستفيد من تجاربهم كيلا نقع فيما وقعوا فيه .

الخلاصة :

واذا تركنا الحديث عن الانحلال الجنسي وأخطارها الضخمة

فعلينا ان نعلم ان الامة تصاب بهذه الأخطار ، على القدر الذي تقترب من الانحلال ، ان الأمة ان لم تضع لنفسها وقاية منيعة عن الاباحية وقعت في المنحدر الذي يؤدي اليها قطعاً ، وهـذه اوربا وأمريكا ابتدأتا الشوط من الخلاعة فانحدرتا الى الدرك السافل ، الى الفساد المطلق ، وهم يشعرون او لا يشعرون .

ولقد جعل الاسلام هـذه الوقاية للأمة المسلمة وشدّد عليها فحمى النـاس من الانحدار الى هاوية الانحلال السحيقة ، منع الاسلام الخلاعة بكل صورها وأشكالها فسد باب الانحلال سداً منيعاً ، انـه أوجب الحجاب على النساء ، فقال الله في الكتاب الكريم :

﴿ يا أيهـا النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين ﴾ الأحزاب / ٥٩ .

وقال تعال: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى﴾ الاحزاب/ ٣٣ . ومنع النساء عن النظر الى الرجـال وأوجب على الرجال أيضاً غض النظر عن النساء فقال تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا

من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ فضمن لهم حياة بعيدة كل البعد عن الانحلال .

الحجاب :

ولكن بعض الأعداء يحاول ان يظهر الحجاب في صورة قانون قاس من قوانين الاسلام وتعمل كل أجهزتهم الدعائية لترويج هذه التهمة ، ويجد الغرب في الشرق أبواقاً مأجورة تؤيد فكرة الخلاعة فعلاً وقولاً ونحن لا ندري ماذا يريد هؤلاء هل يريدون ان يكون لكل شاب صديقة ، ولكل فتاة خدن ، يقضي كل مع صاحبه حاجته وتنتشر حبوب منع الحمل تفادياً من المسؤولية ويولد أربعة ملايين من اولاد الزنا في بلد واحد سنوياً ؟ هل يريدون ان نصبح كما في فرنسا وألمانيا الغربية نمارس النشاط الجنسي في كل مكان ؟

وأخيراً هل نقطع الشوط الى آخره ؟ اذاً فلنستعد لذلك ، والإعداد لذلك يكون أولاً بتوديع الدين والأخلاق والتقاليد الأصلية ، إذ لا يمكن الجمع بين المتناقضات ، وثانياً بأن نبني آلاف المستشفيات ودور المجانين ومحاكم جنايات ، وما الى ذلك

مما يؤدي اليه الانحلال الجنسي ، فان كنا مستعدين لذلك فلنصرح ولنقتحم وإلا فما هذه المراوغة ؟ لا يمكن أن يكون التبرج إلا يكون معه افتتان الرجال بالنساء وانخداع الرجال بالنساء ، لا بد أن تكون علاقات غير مشروعة ، ولا بد ان تقضي هذه العلاقات على نظام الاسرة قضاءاً مبرماً ، لأن الفتى الغرور الذي يتمكن من قضاء شهوته بدقائق متى أراد ، لا يستعد لتحمل مسؤوليات الزواج ، المرهقة ، وأخيراً لا بد من الانحلال .

والشاب الذي أثيرت شهوته بالأفلام الجنسية ، والصور العارية،والقصص الغرامية ، وما الى ذلك ولم يؤت قدراً كافياً من الأخلاق ليكبح غريزته لا بد ان يندفع في الشوارع لطلب صيد فان كانت من تستجيب لها رغبته رخيصة سهلة اكتفى بها ولم يتكلف متاعب الزواج وإلا طلب ذكراً يقضي معه وطره ، أليس ذلك بالحق والواقع الذي نراه كل يوم [10] ؟.

---

(١٠) لقد انتشر في لندن مؤخراً داء « الرجال المومسين » فأخذ الكهول يتمتعون بالشباب ، والشباب بالشباب .

الشاب الذي تصافح عيناه – أنى ذهب – وجوهاً ناضرة وأعيناً زائغـــة وخصراً مائلة وغنجاً ودلالاً ، في الحديقة ، في الشارع ، في الجامعة ، في كل مكان ، ألبس لهذا الشاب قلب ينبض وشهوة تثار ؟ فما يصنع بها اذا أفرغها في غير محلها وحتى اذا لم يتمكن من إفراغها ؟ أليس يمارس العادة السرية بويلاتها وأخطارها ؟

الغريزة الجنسية بارود ، مودع في صندوق من الحياء والعفة ولكنها تتفجر بالخلاعة وحينئذ لا تدع ضرعاً إلا وتفسده ولا زرعاً إلا وتقطعه .

تكرار الخطأ :

لقد عجز الغرب اليوم من معالجة الاخطار التي توجهت إليه بممارسة ما أسماه (تحرر المرأة) وقد ارهقته الامراض والجرائم فما الذي يدعو إلى تكرار الخطأ ؟ .

لقد جرت الغرب إلى هذه الخطيئة عوامل خاصة به كالحروب وتزمت التقاليد ، وانحراف الدين واستبداد رجـــاله ، أُضيف

إليها عامل آخر مهم هي المساعدة الصهيونية التي يذلت لافساد خُلق الغربيين (١١).

اما نحن فكنا ، ولا نزال بعيدين عن هذه العوامل ، فما يدعونا إلى الانحلال ، افلا ترون ان الجرائم التي تسببها الغرائز الطائشة تزداد يوماً بعد يوم في بلادنا التي تكثر فيها الخلاعة ، من تبرج وصور عارية وأفلام مائعة ، ومسارح وقصص، وفنون حيوانية المغزى ؟

---

(١١) من الخطط الجهنمية التي تتبعها الصهيونية العالمية لدعم نفوذها في الغرب — وفي أي قطر آخر لها فيه نفوذ— هي إفساد اخلاق المجتمع .. وتطويره إلى مجتمع ضعيف الارادة . منهك الجسم دب فيه الانحلال حتى استوعب مشاعره ونشاطاته واضاع مقاييسه وحطم اعصابه ، يصنعون كل ذلك بغية المحافظة على نفوذهم الذي تهدده يقظة المجتمع ونظافته ... وقد صرح بذلك (بروتوكلات علماء صهيون) وبينه الكاتب والمليونير الشهير « فورد » ودعمه بأدلة واقعية ، وإحصاءات دقيقة اشار من خلالها إلى مدى نجاح هذه الخطة في تسخير شعب امريكا والمانيا وبعض البلاد الاخرى أُنظر كتابه « اليهودية العالمية » .

ألا ترون جريمة الاختطاف ، قد شاعت في البلاد ، حتى أن بلداً عربيــاً لا أذكر اسمه تقع فيه جريمة الاختطاف في كل يوم أربع مرات حسب الإحصاء ؟

ألا ترون الأمراض المعدية ، بسبب الاتصالات غير المشروعة تنتشر انتشاراً واسعاً ؟

ألا ترون الطلاق يكثر ، والعـــداوة تستمر بين الأزواج وزوجاتهم ، بسبب افتتان المرأة بغير زوجهـــا والرجل بغير زوجته ؟

شبهات وردود :

السؤال : يعتقد البعض أن الحجاب المفروض في الاسلام على المرأة يقيدها عن كثير من متع الحيـــاة ، بل وضروراتها التي أصبحت الأمم محتـــاجة اليها أكثر فأكثر في العصر الحديث ، كالثقافة والصناعة . فهل لهذا الاعتقاد أي رصيد من الواقع ؟

الجواب : قبل كل شيء يجب ان نعرف أن الدين الاسلامي دعا الى الثقـــافة والصناعة ، في الأيام التي كانت الأمم ترفض التثقيف والتصنيع كما ترفض الموبقــات . وأوجب على المسلمين

السعي وراءهما — ولو الى أقصى الأرض — ومن المعروف أن واجبات الاسلام لا تختص بالرجال ، وإنما تشمل النساء أيضاً .

وليس هنـاك أي تمانع بين الحجاب وبين الثقافة والصناعة ، إذ أن المرأة — في الوقت الذي تحـافظ على عفتها وحجابها — تتمكن من التعلم ، كما كانت ولا زالت نساء مسلمات بلغنَ درجات رفيعة من العلم ، وهن محافظات على حجابهن .

والعمل ليس محظوراً على المرأة ، ولا محصوراً على الرجل . بيد أن الاسلام أعفى المرأة من العمل خارج البيت بعدما أوجب عليها مسؤوليات البيت إرفاقاً بها وتخفيفاً ...

السؤال : هل للمسلمة الحق في ممـارسة نشاطات سياسية واجتماعية واقتصادية ؟

الجواب : إن من الواضح أن السياسة تبدأ بانتخاب الرئيس في النظم الديمقراطية او مـا يشبهها . والاسلام يجعل للمرأة — كما للرجل — الحق في انتخـاب رئيس الدولة ، ضمن فلسفته الخاصة . فللمرأة بعـد البلوغ الحق في انتخاب أي مجتهد يتولى امور المسلمين وأمورها بالذات . أما النشاطات الاجتماعية ، فإن

على المرأة مراقبة المجتمع ــ بكل دقة ــ ثم معالجة مفاسده وفقاً لقانون « وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في الشريعة الاسلامية .

ومجال النشاطات الاقتصادية مفتوح أمـام المرأة ، وفقاً لما سبق من نشاطاتها السياسية والاجتماعية ، وحريتها في العمـل ــ كما هو معروف في الفقه الاسلامي ــ .

وليس على الإنسان إلا مراجعة واحدة للكتب التاريخية ، ليستكشف مئات من النماذج الحية ، التي تمثل واقع المرأة المسلمة ومدى ممارستها لنشاطات سياسية واقتصادية واجتماعية .

فهــذه خديجة الكبرى ــ أُم المؤمنين عليها السلام ــ التي حملت عبء الدعوة الاسلامية ، في الوقت الذي تمـاجز عنها رجال قريش .

إنها دافعت عن الدين بمالها ، ولسانها ومكانتها وكل طاقاتها.. فإذا هي البطلة الخالدة التي تتشرف باسمهـا الصفحات المشرقة من التاريخ .

وهذه فاطمة الزهراء – عليها السلام – التي ضربت بجهادها الطويل والمرهق ، في سبيل الحق .. سواء في عصر الرسول أو بعده .. ضربت بها أروع الأمثلة وأبهاها .

وزينب الكبرى ، التي رافقت الإمام الحسين عليه السلام ، في ثورته الكبرى ضد الظلم والاستعباد ، ووقفت مدافعة وخطيبة ، وباعثة روح الجهاد والتمرد في الشعب المسلم .

وإذا كانت خديجة وفاطمة وزينب ومثيلاتهن ، الأمثلة الرائعة التي تجسد الاسلام الحق .. وقد أوجب قادة الدين اتباعهن والاقتداء بمناهجهن .. فهل يبقى لعاقل الشك في أن الاسلام يفسح للمرأة مجالات الحياة كلها ، ويدعوها الى ولوجها ، وممارسة شتى النشاطات فيها ؟..

السؤال : في هذه الظروف الحرجة التي يمر بها العالم الاسلامي ، حيث يعاني من التمزق والتأخر والاستعمار الشيء الكثير ، فهل على المرأة مسؤولية الدفاع عن الاسلام والوطن ؟

الجواب : فيما يدهم الخطر البلاد ، يبقى من الهزل التفكير في تحديد المسؤولية وحصرها ضمن إطار .. بل يصبح كل فرد مسؤولاً بفارق ان كلاً يحدد واجبه وفق ظروفه الخاصة .

وللمرأة ظروف خاصة ، تحـدد على وفقها مسؤوليتها ، في هذه الامور .

فهي مسؤولة عن الدعوة الى الاسلام بين مثيلاتهـا .. أنـّى وجدتهن : في البيت ، في المدرسة ، في الحفلات ، في كل مكان ، في نفس الوقت الذي يجب عليها الاشتراك في نشاطات عـامة ، كالتأليف وتنظيم الهيئات وأمثال ذلك .

محمد تقي المدرسي

كربلاء المقدسة — العراق

عشرة آلاف ـ الطبعة الاولى ـ عام ١٣٨٨ هـ
عشرة آلاف ـ الطبعة الثانية ـ عام ١٣٨٩ هـ
أربعة آلاف ـ الطبعة الثالثة ـ عام ١٣٩١ هـ